مع وطاؤة الجور الذي لحق بهذه الطبقات الفقيرة من المجتمع ومن مواقفه الحميدة في منع عدوان رجال الدين الزرادشتين على المسيحيين (١٢٩).

ويبدو ان موقف الملك هرمزد الرابع هذا كان يستند الى المساعدات التي قدمها مسيحيو ايران ضد خصومه البيزنطيين ولكن تسامحه في امور الدين جلبت عليه نقمة رجال الدين فشكلوا حلفاً بالتعاون مع الارستقراطية الايرانية تعمل وتستغل الفرصة للايقاع به. ولكن علينا ان ندرك حقيقة هي انه ابتداء من نهاية عهد كسرى انوشروان ان لانحسب لرجال الدين حساباً كبيراً كقوة مؤثرة في الحياة السياسية والاجتماعية فقد خذل رجال الدين الزرادشتي وفقدوا موقع قوتهم بسبب تنشيط حركة العلم والفلسفة على عهد كسرى انوشروان وهذا سبب فقدان رجال الدين مكانتهم السابقة ولم يسترجعوها حتى نهاية عهد الدولة الساسانية (١٣٠).

وحينما ولي هرمزد الرابع العرش كانت مفاوضات السلم تدور بين ايران وبيزنطة فعمل الملك الجديد على اخفاقها لانه ادرك انها تجري دون تكافؤ بسبب انتصار البيزنطيين الاخير في معركة سنجار على والده انوشروان. ثم تجددت تلك المفاوضات عام ٥٨١ م على غير طائل واستؤنفت الحرب، ولكن القواد الايرانيين لم يكونوا مظفرين وكان اكفاؤهم القائد (بهرام) الملقب بـ (جوبين) اي الرجل الخشبي — ولد في الري وهو ابن بهرام كشناسب من اسرة مهران كان قائداً مشهوراً محارباً من جنده طموحاً مغروراً كسائر اصحاب الاقطاع في الازمنة القديمة، وقد عهد اليه بالقيادة العليا لجيش ايران في حربها ضد بيزنطة بعد ان نال شهرته في انتصاراته على الاقوام التي كانت تهدد الحدود الشمالية والشرقية وعلى الترك ولكنه مني بالهزيمة إمام البيزنطيين فانتزع هرمزد القيادة منه بطريقة مهينة وحينئذ رفع بهرام جوبين علم الثورة ضد الملك مستنداً على ثقة جنده به وتأييد الارستقراطية الايرانية والنبلاء الذين اسندوه. وقد ادت ثورة بهرام الى حدوث التمرد في انحاء البلاد. ويقال ان بهرام قد سلك نفوداً باسم كسرى ابرويز بن هرمزد الرابع ووزعها في المدائن ليزيد من بلبلة الاوضاع وليهيء الاجواء لتنفيذ مخططه الذي كشف عنه وهو الاستيلاء على السلطة فاستغلت الارستقراطية التي ضمرت الحقد والكراهية لهذا الملك الفرصة والقت

---

(١٢٩) باقر — ايران ص ١٥٣.

(١٣٠) ن. م.

القبض عليه وسجنته ثم سملت عينيه وعادت بابنه كسرى (ابرويز) ملكاً على ايران وهو الملقب (بالمظفر) فتوج كسرى الثاني سنة ٥٩٠ وقتل هرمزد بعد ذلك بقليل (١٣١).

---

(١٣١) انظر في ماذكرنا من تفاصيل الاحداث التي مرت بها ايران في هذه الفترة / كرستنسن ـــ ايران ص ٤٢٧ وما بعدها، باقر ـــ ايران ص ١٥٤.
ويورد كرستنسن رواية مفادها ان بسطام من اسرة اسبهذ وصهر البيت المالك، كان خالاً لولي العهد كسرى قد نجح في تخليص اخيه بندوية الذي سجنه الملك لانه كان معارضاً للملك وسياسته فدخل الاخوان القصر الملكي فخلعا الملك والقياه في السجن. ن. م.

الفصل الاول

التنظيمات الادارية والعسكرية

اولاً ــ تنظيم لدولة

لم يكن مجيء الساسانيين الى السلطة خلفاً للاشكانيين وورثة لهم وتغير الاسرة الحاكمة حادثاً سياسياً فحسب. ولكنه يمتاز بظهور روح جديدة في الدولة الايرانية. والطابعان المميزان لنظام الدولة هما: تركيز قوى السلطان. والثاني اتخاذ دين رسمي للدولة (١)

وقد لقيت احوال الحياة العامة والتنظيم الاداري للدولة الساسانية تغيراً مختلفاً في القرون الاربعة التي دامت فيها الامبراطورية التي اسسها اردشير. ولكن الهيكل الاجتماعي والاداري الذي انشأه او اكمله مؤسس الاسرة الساسانية قد بقي حتى نهايتها في الامور الكبرى.

وتذكر الاوستا الحديثة ثلاث طبقاب: طبقة رجال الدين، وطبقة رجال الحرب وطبقة الزراع الا ان هذا التقسيم اداري يسمو الى الزمن الغابر. مضافاً اليها طبقة رابعة هي طبقة الصناع كما ورد في فقرة واحدة.

---

(١) ان معظم معلوماتنا في هذا الباب مقتبسة من كرستنسن ــ ايران في عهد الساسانيين لانه الاساس الذي تعتمد عليه معظم المصادر الاخرى.

ولكننا نجد في ايام الساسانيين تقسيماً جديداً للمجتمع يتكون مع اربع طبقات وهي ١ــ طبقة رجال الدين ٢ــ طبقة رجال الحرب ٣ــ طبقة الكتاب الدواوين ٤ــ طبقة الشعب (الفلاحين والصناع) (٢).

وقد قسمت كل طبقة الى عدة اقسام. فرجال الدين منهم الحكام والعباد وطبقتهم الاقل درجة. والاكثر عدداً هي المغان (جمع مغ) والزهاد والسدنة والهربذان (جمع هوبذ) ثم علماء مختلفون يشغلون وظائف خاصة ثم المراقبون والمعلمون. وتتكون طبقة المحاربين من الفرسان والرجالة ولكل من القسمين رتبه وموظفوه المختصون به.

وتقسم طبقة الكتاب الى /: كتاب الرسائل وكتاب المحاسبات وكتاب الاقضية والسجلات والشروط وكتاب السير ويدخل فيهم الاطباء والشعراء والمنجمون.

واخيراً فان الشعب يشمل الزراع والرعاة والتجار وسائر اهل الحرف ولكل طبقة رئيس ولكل رئيس عارض تحت اشرافه مكلف باحصاء اهل طبقته. ثم مفتش عليه ان يتحقق من معرفة دخل كل فرد واخيراً معلم لكي يلقن كل فرد حرفة او عملاً منذ الطفولة.

وليس من اليسير تحديد الصلة بين هذا التقسيم الذي لايشمل غير الطبقات الممتازة والتقسيم الآخر الذي يتعلق بالشعب عامة. فان هذه الصلة لم تكن واحدة دائماً، وبالجملة فأن نظام الطبقات كان غامضاً جداً.

والاضطراب والتضارب الظاهران في التقسيم الاجتماعي والسياسي للامة يتصلان مباشرة بما كان بين نظامي الاقطاع والسيادة المركزية المطلقة التي ورثتها الدولة الساسانية ممن سبقها، وهذا الخلاف بين هذين العنصرين الاقطاع وسيادة الشاهنشاه هو المميز للتطور الاجتماعي والسياسي منذ ايام اردشير الى الاكاسرة (٣).

---

(٢) لقد عدد المسعودي مراتب الفرس العظمى ايضاً / انظر التنبيه ص ١٠٣ كما ان للجاحظ قول في ان اردشير جعل الناس اربعة اقسام : التاج ص ٢٥

(٣) انظر فيما ذكرت : كرستنسن ــ ايران ص ٨٤ وما بعدها، خطاب قادة فتح ص ١٨، ١٩ باقر ايران ص ١٦٩

وكان افراد الطبقة الاولى في الدولة الساسانية يحملون لقب (ملك) وهذا . سوغ ان يكون لقب ملك ايران (ملك الملوك) (شاهنشاه) . وتشمل هذه الطبقة اولاً الامراء التابعين الذين يحكمون في اطراف الدولة وحكام الامارات التي كانت خاضعة لحماية ايران ، والذين ضمن لهم ملك ايران نظير خضوعهم الامارة لهم ولذويهم من بعدهم . مع التزام وضع قواتهم الحربية تحت تصرفه . وقد يؤدون له جزية معينة (٤) .

وقد احتفظ الساسانيون بالتقسيم القديم للدولة الذي يجعلها اربع ايالات . ومنذ القرن الخامس سمي حكام الايالات (المرازبه) وهؤلاء المرازبه الاربعة الكبار كانوا من طبقات الاسر التي ذكرناها وكانوا يحملون لقب (شاه) ويضاف اليهم اخيراً الحكام المنتسبون الى الاسرة الساسانية . كان ابناء الملوك يولون حسب التقليد القديم الامارات ، وخاصة الامراء الذين يؤمل منهم ان يولوا عرش ايران . فقد كان عليهم ان يلوا الامارة في احد الاقاليم المهمة كي يبدوا فيها مراناً على الحكم (٥) .

ولكن هؤلاء الحكام الذين ينسبون الى الاسرة المالكة لم يكونوا يعتبرون ملوكاً تابعين يتوارثون العرش وذلك لاسباب سياسية . فقد كان حتماً ان يستطيع الملك عزلهم كلما راي في ذلك مصلحة الدولة . ولم يكن لقب الملك الذي يمنحه هؤلاء المرازبه الكبار الالقباً يتيح لهم ان يكونوا في طليعة الارستقراطية وكان الامراء الملكيون ملزمين بالحضور الى البلاط كل في نوبته ليقدموا حساباً عن اعمالهم . ولكن لم يكن لهم في البلاط وظائف معينة . لانهم لو عملوا للحصول على الرتب لوقعوا في النزاع والجدل ولذهبت هيبتهم ولسقطوا في اعين الناس (٦) .

لقد ورث الساسانيون نظام الاشكانيين الاقطاعي . وهكذا نجد في الدولة الجديدة التي انشاءها اردشير في المرتبة الثانية من نظام الطبقات . الطبقة القوية المكونة من رؤوساء الاسر وعلى رأسها افراد العائلات السبع الممتازة وقد حفظ لنا الطبري حقوق اعضاء هذه الاسرات السبع في انهم لهم حق لبس التاج لانهم كانوا في

---

(٤) ن . م

(٥) لقد ولي كرمان وكوشان اخوان لسابور الاول هما اردشير وفيروز . كما كان على سبيل المثال ايضاً سابور الاول وهرمزد الاول وبهرام الاول والثاني حكاماً على خراسان .. انظر كرستنسن ايران ص ٨٩

(٦) كرستنسن ــ ايران ص ٩٠

الاصل مساوين الى ملك ايران. ولكن تيجانهم كانت اصغر حجماً من تاج الملوك الساسانيين (٧).

ومن المتحمل الاتكون الارستقراطية الاقطاعية مقصورة على افراد الاسرات السبع العظيمة. فقد كان بعض القواد الكبار ينتسبون الى اسرات اقطاعية او فروع من بعض هذه العائلات. ولكن في الجملة لم يكن الجزء الذي كان اقطاعياً في ايدي الارستقراطية العالية تشمل قسماً مهماً من ايران اذا قورن بالمساحة التي كانت تتبع الدولة مباشرة والتي كان يديرها حكام من قبل الملك.

ليس لدينا معلومات محددة عن الامتيازات التي كان يتمتع بها اصحاب الاقطاعات، ولانعلم اكان لحكومة الملك بعض سلطان على المقاطعات التي تقع في حكمهم، وهل كان لهؤلاء حصانه كاملة او جزئية ولكن الذي نعلمه علم اليقين هو ان الرعايا كانوا ملزمين بدفع الضرائب اما الى سيد الاقطاع او الى الدولة او ايهما جميعاً. وانهم كانوا ملزمين باداء الخدمة العسكرية تحت رياسة صاحب الاقطاع (٨) ونجد في ايام الساسانيين ــ اتباعاً للتقاليد القديمة ــ بعض المناصب العامة تورث بين افراد الاسر السبع الممتازة فمثلاً كان للاسرة المسماة الاردوانية الرتبة الملكية، وكان من اختصاصها وظيفة تتويج الملك واسرة اخرى كانت تتوارث ادارة شؤون الحرب، وثالثة تتولى الادارات المدنية، ورابعه يعهد اليها فض المنازعات بين المتخاصمين الراغبين في التحكيم، وخامسة تتولى قيادة الفرسان وسادسة وليت جباية الضرائب من افراد الشعب ورعاية الكنوز الملكية وسابعة تتولى العناية بالاسلحة ونظام التعبئة الحربية (٩).

اما الوظائف الوراثية الست الباقية، فمنها ثلاث وظائف حربية، وثلاث مدنية. فاما الوظائف الحربية فهي رياسة الشؤون العسكرية، ورياسة الفرسان، ثم القيام على الاهراء (وهي ــ الميرة والتموين) اما الوظائف المدنية فهي رياسة الشؤون المدنية وهي تسمية غامضة بالنسبة لقاضي الصلح والقائم على تحصيل الخراج،

---

(٧) تاريخ الرسل والملوك ١/٤٣٧، ٤٣٨، ٨٧٣، ٨٧٧. وكانت الاسرات السبع هي. الاسرة الاردوانية المالكة، قارن، سورين، اسباهيد، سبنديلد، مهران، مدوخيا، انظر ايضاً كرستنسن ــ ايران ص ٩١

(٨) كرستنسن ــ ايران ص ٩٣، خطاب ــ ادة فتح ص ١٩

(٩) ن، م

ورئيس تفتيش الخزائن الملكية . وانه لمن الصعب ان تقرر الى اي عائلة يعهد بكل من هذه الوظائف ومع ملاحظة ان الوظائف الوراثية كانت مهمة جداً حقاً الا انها لم تكن اعلى وظائف الدولة واهمها ، فليس من المعقول ان تكون الوظائف الاولى رئاسة الوزارة وقيادة جيش الملك وغيرهما خاضعة لان تنتقل بالميراث من رجل لاخر ، كذلك ليس معقولاً الايكون للملك حق الخيار بين مستشارية ، بل يكون له اذا اراد ان يتخلص من موظف كبير ان يقتله لكي يخلفه ابنه الاكبر فان مثل هذا النظام لايلائم نظام الحكومة المطلقة التي كانت في الواقع اساس الحكم في الدولةالساسانية ، ولو حدث لجر الخراب على الدولة في زمن قليل . والوظائف الوراثية في الدولة الساسانية كانت وظائف (شرف) تبين مكانه شاغليها بين الاسرات السبع الممتازة ، وكانت قوة هؤلاء تستند كذلك على دخل اقطاعاتهم ، ثم على مابينهم وبين رعاياهم في الاقطاع من صلة قوية وخاصة في العهد السابق على قباذ وكسرى الاول . واخيراً يستمدون قوتهم من انهم يستطيعون في يسر مقابلة الشاهنشاه فكان هذا يعطيهم بعض المزايا لكي يعينوا في اسمى وظائف الدولة (١٠) .

وقد لبث ابناء البيوتات يتساندون زمناً طويلاً حتى بعد سقوط الدولة الساسانية وافول نجمها وانقراض الجمعية القديمة . وقد دون لنا ابن حوقل الجغرافي العربي نصاً يفيد بأن (بفارس) سنه جميلة وعادة فيما بينهم كالفضيلة من تفضيل اهل البيوتات القديمة والزام اهل النعم الاولية وفيها بيوت يتوارثون فيما بينهم اعمال الدواوين على قديم ايامهم الى ايام ابن حوقل (١١) .

وبهذا الصدد يمكن الاشارة ايضاً الى ماذكره المؤرخ المسعودي عن اهل البيوتات بفارس (١٢)

لقد روى الطبرى بعضاً من التاريخ الساساني . وذكر كثيراً مصطلح (العظماء والاشراف) ـــ بزركان ـــ وخاصة عند ذكره لارتقاء الملوك الساسانيين عرشهم حيث يشير الى ان العظماء الاشراف واهل البيونات اجتمعوا ليقدموا له فروض الولاء ويستمعوا الحديث الذي يتقدم به الى الشعب ، واهل البيوتات والعظماء

---

(١٠)كرستنسن ـــ ايران ص ٩٤ ـــ ٩٧

(١١)صورة الارض ٢١٢ وكان اهل البيونات يسمون (الواسبوران)

(١٢)مروج الذهب ٢٨٤/١

هم الذين عزلوا اردشير الثاني وهم الذين قتلوا سابور الثالث، كما حاول بعض العظماء واهل البيونات ان يبعدوا نسل يزد جرد الاول عن العرش (١٣) وفي المفاوضات التي جرت مع ملك العرب المنذر بن النعمان في وراثة العرش كان العظماء واهل البيونات هم الذين يتحدثون كما ذكر الطبرى (١٤).

واحياناً نجد الاصطلاح المركب (العظماء والاشراف) والاصطلاحات العربية (اهل البيونات) (والعظماء) (الاشراف) واحياناً يذكر الطبرى كلمة (العظماء) وحدها (١٥) وتبعاً للدور الذي يلعبه (العظماء) في خلال تاريخ الدولة الساسانية. ولانهم يظهرون بانتظام بجوار الارستقراطية المالكة للاراضي، فليس هناك ادنى شك في معرفة الى اي فريق من الناس يشار بهذا التعبير، انهم الضباط الكبار للدوله وانهم اعلى ممثلى الادارة، فالعظماء يشملون الوزراء ورؤوساء الادارة (١٦).

اما الاشراف (ازادان) فلايزال معناه غامضاً، ومعنى هذا الاصطلاح في الاصل (الاحرار) وكان في الاساس اسماً للغزاة الاريين يميزهم عن السكان الاصليين الذين غلبوا على امرهم. ومن المحتمل ان نعد الفرسان وهم زهرة الجيش الساساني من طبعة الاشراف (١٧).

وعندما تناول اليعقوبي في تاريخه نظام الطبقات ايام يزد جرد الاول في اوائل القرن الخامس يشير في فقرة من روايته بأن ضباط الجيش كانوا يسمون (الاساورة) (١٨) والمفروض ان معظم الاساورة كانوا يعيشون ابان السلم من ريع اراضيهم فكانوا يزرعونها ويباشرون فلاحتها (١٩).

---

(١٣) تاريخ الرسل والملوك ١/٨٤٦، ٨٥٨، ٨٨٣

(١٤) ن.م ١/٨٣٥، ٨٨١

(١٥) ن.م ١/٨٣٤، ١٠٤٥، ١٠٦١ وانظر في ذلك كرستنسن ـــ ايران ص ٩٧ ـــ ٩٨

(١٦) كرستنسن ـــ ايران ص ٩٨

(١٧) ن.م وانظر : خطاب ـــ قادة الفتح ص ٢١

(١٨) التاريخ ١/١٤٧

(١٩) كرستنسن ـــ ايران ص ٩٨ ـــ ٩٩